العرب
الإثنين 2020/01/27
السنة 42 العدد 11599

# مشردون في شوارع تونس فراشهم الكرتون ولحافهم الفضاء

## تونسيون بلا سند قست عليهم الحكومات والمنحرفون

ازدادت ظاهرة الفقر في السنوات الأخيرة فدفعت بالبعض من الفقراء إلى الشوارع بعد أن عجزوا عن توفير مأوى لهم خاصة في فصل الشتاء، وبدأت رحلة المعاناة حيث يعيشون مما يمدّهم به الناس، لكن المنحرفين يزيدون معاناة المشردين بتعنيفهم وسلبهم القليل الذي معهم في ظل غياب سلطة تحميهم.

تونس - انكمشت سهى في ركن منزو تلفه العتمة من شارع الحبيب بورقيبة بالعاصمة التونسية رمز الثورة والحرية، قرب رواق أحد المحلات غير بعيد عن كاتدرائية "سان فانسون دو بول" وقبالة نصب العلامة بن خلدون، لا هم لها سوى تهيئة ملاذ يؤويها في ليالي صقيع شهر يناير.

انسدل شعرها البني يحجب سمات وجه يعكس وطأة المعاناة، تقول "اضطررت إلى السكن في الشارع الطويل منذ خمس سنوات بحثا عن قلوب رحيمة ترأف بي وبأخوي المعوقين اللذين تركتهما في مسقط رأسي، بعد أن فقدنا الأب والأم".

تقول سهى، في حين كان عبدالمجيد المكلف ضمن فريق الإسعاف الاجتماعي يقدم لها وجبة عشاء وغطاء وجوارب لمقاومة البرد، "أحيانا أتعرض للاعتداء من أشخاص يسلبون ما جاد به المارة علي، وبعضهم يتحرش بي. مؤخرا، تعمد أحدهم خطف حقيبة يدي التي خبأت فيها ما جنيته من صدقات العابرين بالشارع، كنت شكوت ما حدث لي إلى دورية من أعوان الأمن مرت بعد فترة لكن دون جدوى".

تلتقط سهى الأنفاس كأنما تستحث الذاكرة على المزيد من البوح، مشيرة إلى زاوية غير بعيدة عن ملاذها وتضيف قائلة "أهل الخير كانوا يعطفون علي أنا وصابر جاري في الزاوية، لكنه غادر وصرت أجمع مبلغا أفضل من صدقات الناس. لكن سراقا ينهبونني بل لا يتورعون عن ضربي لافتكاك ما أجنيه".

وفي شارع الحرية وسط العاصمة اضطرت حميدة (59 سنة)، إلى الاستحواذ على ركن بين واجهات المحلات التجارية، فهي إحدى ضحايا قانون إجبارية مغادرة الأطفال قرى "أس أو أس" عند بلوغ سن الرشد.

تعكف حميدة قابعة طيلة النهار قبالة جامع الفتح، إلى وقت متأخر من الليل، على بيع المناديل الورقية والعلكة منذ خمس سنوات، تقول بمرارة "قدرنا، أطفال قرى الأطفال، أن نعيش الشارع أول حياتنا وآخرها".

ورغم غياب إحصائيات رسمية حول المشردين في تونس، أطلقت وزارة الشؤون الاجتماعية آلية إغاثة اجتماعية لهم وللعائلات دون سند منذ ديسمبر 2015.

وتقوم هذه الآلية على تعبئة فريق يتكون من أخصائي علم اجتماع وآخر في علم النفس ومساعد ممرض ومنقذ يعملون على تزويد هؤلاء المشردين بالملابس والأغذية والإسعافات الأولية وبعض الاحتياجات الأساسية.

كما يسعى الفريق إلى إيجاد حلول للإقامة المؤقتة بمركز الإحاطة والتوجيه الاجتماعي بالزهروني.

وتشير أرقام الوزارة إلى أنه تم التكفل بـ539 شخصا وإسداء 1641 خدمة للمشردين.

وخلصت دراسة أُنجزت بالشراكة بين مركز الإدماج الاجتماعي في الزهروني وجمعية الإسعاف الاجتماعي الدولية، في ديسمبر 2019، إلى أن انعدام المداخيل والانقطاع عن العمل والديون ومشاكل الميراث، كانت وراء لجوء 33 بالمئة ممن تم التكفل بهم إلى الشارع، فضلا عن الهشاشة الاقتصادية والفقر (بنسبة 35 بالمئة) والمشاكل العائلية (25 بالمئة) والأمراض المزمنة والإعاقات بنسبة 19 بالمئة.

> وزارة الشؤون الاجتماعية أطلقت آلية إغاثة لمن هم دون سند، فشمل التكفل بـ539 شخصا وأسديت 1641 خدمة للمشردين

جلست حميدة القرفصاء متكئة على الحائط تسرد حجم معاناة السنين؛ قالت إنها طيلة رحلة العمر ذاقت الأمرّين، فمن دار الرضيع في مدينة بنزرت إلى قرى الأطفال بحمام الأنف والمراكز المندمجة، فقضاء المرأة المعنفة التابع للاتحاد الوطني للمرأة، لتشتغل بعد ذلك في البيوت معينة منزلية وترزح، وفق توصيفها، تحت نير استعباد تعددت مظاهره، ليرسو بها مركب الحياة في الشارع.

تكلمت بصوت منخفض ولا يكاد يُسمع، إذ كانت تعاني من رشح شديد لتطلب من أعوان الإسعاف الاجتماعي إسعافها بدواء للرشح وبآخر لمرضها المزمن، وأعلمتهم بأنها لم تجد حذاء يقيها برد الليل والرصيف، بعد أن أتلف أعوان الشرطة البيئية أمتعتها حين اقتلعوا "منزلها" الكرتوني الذي شيدته ليقيها من زوار آخر الليل، فما كان من الفريق إلا أن وفّر لها غشاء وغطاء وحذاء. تقول وآثار العنف بادية على محيط إحدى عينيها بسبب تلقيها لكمة من أحد المنحرفين قام بسلبها هاتفها الجوال الليلة الماضية، "المنحرفون يتهجمون علينا في كل مرة ويسلبوننا ما جمعنا من مال وما لدينا من متاع، تعرضت إلى الطعن مرتين في محاولات للاعتداء علي".

قادت فريق الإسعاف الاجتماعي كي تكشف لهم نصف مسكنها الكرتوني الجديد الذي رتبت فيه فراشها وغطاءها وما تملكه من نزر قليل من الملابس، فالمساعدة الاجتماعية الخاصة بالعائلات المعوزة وقيمتها 180 دينارا لا تكفيها لاستئجار سكن. استرشدت بعد ذلك من الفريق عن مكان مركز الإدماج الاجتماعي بمنطقة الزهروني طلبا للاستحمام فيه لاحقا.

وتحلم حميدة بنيل تعويض عن حادث سير تعرضت له وتسبب في تدخل جراحي على جسمها.

قالت لوكالة تونس أفريقيا للأنباء (وات)، إنها تقدمت أيضا بمطلب للحصول على رخصة كشك تستطيع أن تعيل منه نفسها وتوفر أجر غرفة تقيها الأشرار، لكن طلبها قوبل بالرفض.

غير بعيد وتحت عمود إنارة عمومية محت عتمة المكان عند الركن الغربي لجامع الفتح، استلقى الهادي (37 سنة) على مرتبة بالية وخبأ رأسه بجزء من غطاء صوفي يواري قدميه، ما حدا بفريق الإسعاف الاجتماعي إلى تمكينه من عشاء ليلته وغطاء جديد.

يعاني الهادي من مرض السل ورفض أن يكشف عن معاناته بأي حديث، قال أعضاء فريق الإسعاف إن إصابته بالسل أفقدته عمله كنادل بأحد المقاهي، وبمجرد طرده من العمل لاذ زوجته ببيت أهلها ليساعدوها على التكفل بابنها المعوق واتخذ هو من الشارع مأوى.

إدمان الكحول سبب تيه العم حسن بن صالح، ومكوثه تحت زخات المطر محتميا بشجيرات أمام أحد النزل بشارع أولاد حفوز وسط العاصمة، حيث يفترش مرتبة مهترئة ويلتحف غطاء باليا. قال إنه يقيم في الشارع منذ خمسة وثلاثين عاما.

قال العم حسن الذي يقيم في الشارع منذ خمس سنوات، "فريق الإسعاف الاجتماعي وقليل من أهل الإحسان يقدمون لي المساعدة. في غالب الأحيان حين أريد الاستحمام ألجأ إلى محطة تنظيف سيارات وأغتسل في الشتاء والصيف بماء بارد". كان العم حسن قد أقام في مركز الإدماج الاجتماعي سنتين متتاليتين ثم تم تمكينه من إحداث مشروع تمثّل في عربة لبيع الخضر والغلال في السوق، حقق المشروع أرباحا لكن إدمان العم حسن على معاقرة الخمر أتى على رأس المال فأفلس.

على عتبة أحد المحلات الكبرى بشارع الحرية انطوت سعاد مفترشة أوراق كرتون وغطت جسمها بغطاء صوفي مهترئ، وهي تدخن سيجارتها بنهم. قالت لمنسّق فريق الإسعاف الاجتماعي "وعدوني بجراية، وذهبت إلى مقر وزارة الشؤون الاجتماعية فأعلموني هنالك بأنهم كذبوا علي. لا جراية لي ولا ملف يخصني يوجد لديهم أصلا".

أجابها المسؤول مبديا تعاطفا "ملفك لم يصل بعد إلى الوزارة، ما زال لدى المندوبية الجهوية" ثم وعدها بمتابعة ملفها.

وحيد في بلده

قوتها من عطف الناس

# أدوية مغشوشة تفتك بسكان أفريقيا بدل أن تشفيهم

لومي - بعد إصابته بالملاريا والتيفوئيد، ظن الخياط أياو هييفي المقيم في توغو أنه سيتعافى بعدما وُصفت له أدوية، إلا أن العقاقير التي حصل عليها كانت مغشوشة وكلّفته إحدى كليتيه.

قال هييفي "بعد أربعة أيام من تناولي الأدوية، لم يسجل جسمي أي تحسن، بل بدأت أشعر بألم في بطني".

وبعد أسبوعين من المعاناة، أصبح غير قادر على المشي ونقل إلى المستشفى الجامعي في لومي عاصمة توغو الواقعة في غرب أفريقيا.

وأضاف هييفي "أخبرني الأطباء بأن كليتَي تضررتا... فقد كانت الأدوية والمضادات الحيوية التي استخدمت لمعالجتي في العيادة الطبية مغشوشة".

واليوم، بعد مرور أكثر من أربع سنوات، يعاني هذا الخياط من فشل كلوي مزمن ويتعين عليه الذهاب إلى المستشفى لغسل الكلية بانتظام.

وقصة الخياط هييفي ليست فريدة من نوعها في قارة تنتشر فيها الأدوية المغشوشة.

وتقدر منظمة الصحة العالمية بأن نحو مئة ألف شخص في مختلف أنحاء إفريقيا يموتون كل سنة جراء تناولهم الأدوية "المغشوشة أو دون المعايير المطلوبة".

وقدرت الجمعية الأميركية للطب الاستوائي في عام 2015 أن 122 ألف طفل دون سن الخامسة توفوا بسبب تناول أدوية مكافحة الملاريا ذات النوعية الرديئة في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

وقد ساهمت التشريعات الضعيفة وأنظمة الرعاية الصحية السيئة والفقر المنتشر على نطاق واسع، في ازدهار هذه السوق القاتلة. ومنذ عام 2013، كانت نسبة 42 بالمئة من مجموع الأدوية المغشوشة -التي ضبطت في مختلف أنحاء العالم- في أفريقيا.

يقول خبراء، إن العقارين الأكثر احتمالا أن يكونا منتهيي الصلاحية أو غير فعالين هما المضادات الحيوية ومضادات الملاريا. وفي محاولة من أجل التصدي لهذه الآفة اجتمع رؤساء سبع دول أفريقية، هي جمهورية الكونغو وغامبيا وغانا والنيجر والسنغال وتوغو وأوغندا، في لومي لتوقيع اتفاق يجرّم الاتجار بالأدوية المغشوشة ويعزز التعاون بين الحكومات ويشجع الدول الأفريقية الأخرى على الانضمام إلى هذه المبادرة.

ورغم ذلك، تبقى مهمة القضاء على تدفق الأدوية المغشوشة مهمة جسيمة، فتلك الأدوية تعرض في غلافات بلاستيكية أو تعرض في أكشاك متداعية داخل أسواق في مختلف أنحاء غرب أفريقيا. وغالبا ما تكون أسعارها جزءا صغيرا من سعر الأدوية المماثلة المباعة في الصيدليات حيث تكون الضوابط أكثر صرامة. وقال الدكتور إينوسنت كوندي كبيتو رئيس جمعية الصيدلة في توغو "من الصعب جدا تتبع مصدر الأدوية المغشوشة".

وأوضح "البلدان التي تذكر على العلب لا تكون في معظم الأحيان بلدان منشأ هذه الأدوية".

وتشير التقديرات إلى أن 30 إلى 60 بالمئة من الأدوية المباعة في أفريقيا مغشوشة، وقال الطبيب إن معظم هذه الأدوية تأتي من الصين أو الهند.

وتوغو هي من بين الدول الرائدة التي تحاول وقف تدفق الأدوية المغشوشة. ومن الإجراءات التي اتخذتها لتحقيق هذا الهدف، تعديل القانون في عام 2015، فأصبح المخالفون يواجهون بموجبه عقوبة السجن لمدة 20 عاما ودفع غرامة تبلغ حوالي 85 ألف دولار.

ولفت كبيتو إلى وجود "شبكات إجرامية منظمة" تدير عمليات بيع الأدوية المغشوشة، وأشار إلى أن التجار يمكنهم تحويل استثمار بقيمة ألف دولار فقط إلى ربح مقداره 500 ألف دولار.

وتهرب الأدوية المغشوشة بالطريقة نفسها التي يتم بها تهريب الأسلحة أو المخدرات، وغالبا ما تحقق عائدات أعلى.

وتعد نيجيريا أكثر دول أفريقيا تعدادا للسكان بـ200 مليون نسمة، وهي الوجهة الأولى في القارة للأدوية المغشوشة.

ففي سبتمبر 2016، صادرت منظمة الجمارك العالمية عشرات الملايين من الحبوب والأدوية المغشوشة في 16 ميناء حول أفريقيا وكانت 35 بالمئة من هذه الحبوب والأدوية موجهة إلى نيجيريا.

وينتشر في مختلف أنحاء البلاد عشرات الآلاف من بائعي المنتجات المقلدة.

وعادة ما تكون المنافسة بين التجار شرسة والوكالة الرسمية المتخصصة في مكافحة هذه المعضلة عاجزة عن التصدي لها بشكل فعّال.

في محاولة لتحسين الوضع، أسست فيفيان نواكاه في عام 2017 شركة "ميدساف" وجمعت 1.4 مليون دولار لمساعدة النيجيريين على تتبع أدويتهم من المنتج إلى المستهلك.

وقالت، "لا تملك البلاد شبكة توزيع موثوقا بها ومركزية".

وأوضحت "يتعين على المستشفى في بعض الأحيان التعامل مع 30 أو 40 موزعا للأدوية التي يحتاج إليها. كيف يمكنك التحكم في الجودة مع عدد كبير من الموردين؟".

> 122
> ألف طفل توفوا بسبب تناول أدوية الملاريا ذات النوعية الرديئة في أفريقيا سنة 2015

ونتيجة لذلك، لم تغمر الأدوية المغشوشة أو المعيبة الأسواق فحسب، بل غمرت أيضا الصيدليات والمستشفيات الحكومية والخاصة على حد السواء.

وتعمل ميدساف على مراقبة جودة آلاف المنتجات في أكثر من 130 مستشفى وصيدلية في نيجيريا. وهي تتطلع إلى التوسع في نيجيريا وساحل العاج والسنغال.

وتستخدم هذه الشركة الناشئة التكنولوجيا وإدارة قواعد البيانات والتحليل لمراقبة حركة الأدوية والتحقق من رقم التسجيل الرسمي وتواريخ انتهاء الصلاحية وظروف التخزين.

وقالت نواكاه "التكنولوجيا التي نستخدمها يمكن أن تساعد على حل معظم القضايا المتعلقة بالأدوية المغشوشة. الناس يموتون من دون سبب. يمكننا تغيير ذلك".

عصابات الأدوية تبيع السم